

التبيان في تفسير القرآن

(82) من اللطاف التي يؤتيها المؤمنين فيكون ذلك عقوبة لهم واستصلاحاً ونظير ذلك قول القائل لآخيه إذا هجره أخوه متجنباً عليه إذا استعته فلم يراجعه: سأم لك في الهجران مداً يريد سأتركك وما صرت إليه تركاً ينبهك على قبح فعلك لا أنه يريد بذلك أن يهجره أخوه ولكن على وجه الغضب والاستصلاح والتنبيه قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فمارحت تجارتهم وما كانوا مهتدين آية القراءة: ضم جميع القراء الواو من (اشتروا الضلالة) وروى السوخردى عن زيد ابن اسماعيل بتخفيف ضمة الواو وكذلك نظائره نحو: (لنبلون) (فتمنوا الموت) وروى عن يحيى بن يعمر في الشواذ أنه كسرهما شبهها بواو: (لو) في قوله: (لو استطعنا لخرجنا) " 1 " وضم يحيى بن وثاب واو (لووا) وفيما ذكرناه شبهها بواو الجمع والصحيح ما عليه القراء لأن الواو في الآية ونظائرها واو الجمع فحركات بالحركة التي من جنسها لا لتقاء الساكنين المعنى: وهذه الآية الإشارة بها إلى من تقدم ذكره من المنافقين وقال ابن عباس اشتروا الكفر بالإيمان وقال قتادة: استحبوا الضلالة على الهدى وقال ابن مسعود: أخذوا الضلالة وتركوا الهدى وقال مجاهد آمنوا ثم كفروا وهذه الأقوال متقاربة المعاني فإن قيل كيف اشتروا هؤلاء القوم الضلالة بالهدى وإنما كانوا منافقين لم يتقدم نفاقهم إيمان؟ فيقال فيهم باعوا ما كانوا عليه بضاللتهم التي استبدلوها منه والمفهوم من الشراء اعتياض شئ يبذل شئ مكانه عوضاً منه وهؤلاء ما كانوا قط على الهدى

_____ " 1 " سورة التوبة: آية 43